[174] لا يجدون مثلنا، وما أغرانا بهم إلا أنا لا نجد مثلهم، كما قال القائل: مالك تظلمني ؟ قال: لا أجد من أظلم غيرك. وواﷲ إن ابنه لخير أهله، أعد طعامك يا غلام. قال: فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم إلى ابن عباس، أن انطلق فبايع. فقال للرسول: أقرئ الامير السلام، وقل له: واﷲ ما بقي في ما تخافون، فاقض من أمرك ما أنت قاض، فإذا سهل الممشى وذهبت حطمة الناس، جئتك ففعلت ما أحببت. قال: ثم أقبل علينا فقال: مهلا معشر قريش، أن تقولوا عند موت معاوية: ذهب جد بني معاوية، وانقطع ملكهم، ذهب لعمر اﷲ جدهم، وبقى ملكهم وشرها بقية هي أطول مما مضى، إلزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم. قال: فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال: يقول لك الامير: لابد لك أن تأتينيا. قال: فإن كان لا بد، فلا بد مما لا بد منه، يا نوار هلمي ثيابي، ثم قال: وما ينفعكم إتيان رجل إن جلس لم يضركم ؟ قال: فقلت له: أتبايع ليزيد، وهو يشرب الخمر، ويلهو بالقيان، ويستهتر بالفواحش ؟ قال: مه، فأين ما قلت لكم ؟ وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر، أو هو شر من شاربها، أنتم إلى بيعته سراع ؟ أما واﷲ إني لانهاكم، وأنا أعلم أنكم فاعلون ما أنتم فاعلون، حتى يصلب مصلوب قريش بمكة، يعنى عبد اﷲ بن الزبير. كتاب يزيد بالبيعة إلى أهل المدينة قال: وذكروا أن نافع بن جبير قال: إني بالشام يوم موت معاوية، وكان يزيد غائبا، واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده، حتى يقدم يزيد، فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس، فقال: لا يحملن اليوم نعش أمير المؤمنين إلا قرشي: قال: فحملته قريش ساعة. ثم قال أهل الشام: أصلح اﷲ الامير. اجعل لنا من أمير المؤمنين نصيبا في موته، كما كان لنا في حياته. قال: فاحملوه، فحملوه، وازدحموا عليه، حتى شقوا البرد الذي كان عليه صدعين (1). قال: فلما قدم يزيد دمشق بعد موت أبيه إلى عشرة أيام، كتب إلى خالد بن الحكم، وهو عامل المدينة: أما بعد، فإن معاوية بن أبى سفيان، كان عبدا استخلفه اﷲ على العباد، ومكن له في البلاد وكان من حادث قضاء اﷲ جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه فيه، ما سبق في الاولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فعاش حميدا، ومات سعيدا، وقد قلدنا اﷲ عزوجل ما كان إليه، فيا لها مصيبة ما أجلها، ونعمة ما أعظمها، نقل الخلافة، وفقد الخليفة، فنستوزعه (2) الشكر، ونستلهمه الحمد، ونسأله الخيرة في الدارين معا،

_____ (1) صدعين: نصفين. (2) نستوزعه: نطلب منه إلهام الشكر، ومن ذلك قوله تعالى (رب أوزعني أن أشكر نعمتك). (*)

_____